الفروق السيكلوجية
بين الأفراد
للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

الفروق العقلية

يعتبر الفريد بينيه — كما ذكرنا فى المقال السابق — زعيم النفسيين الذين وضعوا مقاييس علمية للذكاء ، وقد ترجمت مقاييسه مهذبة إلى الإنجليزية فى أمريكا وانجلترا ، وإلى معظم اللغات الأوربية، وإلى اليابانية أيضاً. ومن هذه المقاييس المترجمة والمعتمدة حتى الآن مقياس « استنفورد بينيه المهذب » . غير أن مقياس بينيه بصيغته ووضعه يتطلب أن يمتحن كل فرد على حدة ، وتلك عملية طويلة مملة ، ويحتاج إلى زمن ومجهود ، كما أنه لا يناسب الأفراد الذين يرهبون الامتحانات الشفهية التى يواجهون فيها الممتحنين ، ولذلك فكر علماء النفس فى نوع آخر من المقاييس يقاس به الجم من الأفراد. وكان دخول أمريكا فى الحرب الكبرى سنة ١٩١٧ من العوامل التى جعلت الحاجة إلى هذا النوع من المقاييس الجمعية ملحة . فقد أرادت السلطات الحربية الأمريكية أن تعزل من المتقدمين للخدمة العسكرية ضماناً للعقول لأن هؤلاء لا يصلحون لحمل السلاح ونزول الميدان ، كما أرادت أن تختار من بين الصالحين لحمل السلاح أفراداً ذوى ذكاء يمرنون للوظائف ذات التبعات كوظيفة الضباط والقواد ، ولم يكن من الممكن عملياً استخدام « مقياس استنفورد المهذب » ولذلك اجتمع علماء النفس الأمريكيون ووضعوا نوعين من المقاييس الجمعية : نوع يسمى « مقياس ألفا » ، وهو لفظى تحريرى لمن يقرءون الإنجليزية ويكتبونها ، ونوع يسمى « مقياس بيتا » ، وهو تحريرى غير لفظى للأجانب الذين لا يعرفون الإنجليزية وللأميين الأمريكيين ، وقد طبع كل من النوعين ، وكان يوزع فى كراسات على المجندين . وبذلك أمكن اختبار آلاف منهم فى دقائق معدودة

ومن الاختبارات التى احتواها « مقياس ألفا » عمليات حسابية عادية فى الجمع والطرح تتدرج فى الصعوبة من أول الصفحة إلى آخرها . وعلى الممتحن أن يقوم بهذه العمليات بأسرع ما يمكن وفى زمن محدود . وكذلك منها صفحة بها عمودان من الكلمات المألوفة ، والكلمة التى فى العمود التالى إما مرادفة للكلمة التى قبلها فى العمود الأول أو مضادة . وكل ما يطلب من الممتحن هو أن يكتب أمام الكلمتين حرف (ر) إذا كانتا مترادفتين ، أو حرف (ض) إذا كانتا متضادتين[1] . ومنها صفحة بها جمل كلماتها موضوعة فى غير ما نظام معنوى ، وعلى الممتحن أن يضعها فى نظام بحيث يستقيم المعنى مثل : النور شروق يظهر الشمس عند[2] . ومثل جملة : جريمة النفس الدرجة عن القتل للدفاع من الأولى[3] ، ثم يذكر إذا كانت الجملة قضية صادقة أم كاذبة . ومنها أيضاً صفحة ملأى بالأسئلة لمعرفة الأسباب المعقولة لحوادث عادية مألوفة كالسؤال : لم يستعمل معدن النحاس فى الأسلاك الكهربائية ؟ ألأنه يوجد فى الولايات المتحدة ، أم لأنه جيد التوصيل ، أم لأنه أرخص المعادن ؟ وعلى الممتحن أن يضع علامة على السبب المعقول . وأما «مقياس بيتا» فهو لا يحتاج إلى قراءة أو كتابة لفظية ، ومن اختباراته : اختبار تكملة الأجزاء الناقصة فى الصور المرسومة فى صفحة من الكراسة ، كتكملة العين الناقصة فى وجه إنسان ، أو الأذن فى وجه حمار . ومنها تكرار رموز على نظام خاص مرسوم فى الكراسة كهذا النظام مثلاً : + OX + OX . . . . أو هذا النظام O — + OX + — X . . . . ولكل من هذه الاختبارات درجة . والنسبة المئوية لدرجات كل فرد تعين مقدار ذكائه . وقد ظهرت صلاحية هذين النوعين من الاختبارات فى الجيش الأمريكي ، وانتشر استعمالها وبخاصة « مقياس ألفا » فى المدارس الأمريكية والإنجليزية . وقد بلغ عدد الجنود الذين امتحن ذكاؤهم بهذين المقياسين نحو مليونين

وقد استرعت نتائج هذه المقاييس أنظار علماء النفس ، فقد وجدوا — بصفة عامة — أن أذكى الجنود هم أولئك الذين يحترفون مهناً علمية أو فنية كالمحامين والأطباء والمدرسين والمهندسين الخ Professional men ، ويليهم فى الذكاء التجار والكتبة ، وبعدهم الميكانيكيون العاديون ، وأخيراً يجىء العمال

(١) الأصل فى الانجليزية (S) يعنى Same أو (O) يعنى Opposite

(٢) نظام الجملة الصحيح هو : عند شروق الشمس يظهر النور . والقضية صادقة

(٣) نظام الجملة الصحيح هو : القتل للدفاع عن النفس جريمة من الدرجة الأولى ؛ والقضية كاذبة

وذوو المهن اليدوية[1] . وليس معنى ذلك أن كل فرد من طبقة المحامين والأطباء والمدرسين الخ أذكى من أى فرد من طبقة التجار والكتبة . لا ، بل الذى وجد هو أن الطبقة الأولى كمجموعة أذكى من الطبقة الثانية كمجموعة . وإن كان من بين أفراد الطبقة الثانية من يفوق فى الذكاء بعض أفراد فى الطبقة الأولى . وربما يتساءل القارئ : وهل لنوع المهنة أثر فى الذكاء ؟ والجواب على ذلك هو أن للذكاء أثراً فى اختيار المهنة لا العكس . لأن القاعدة العلمية هى أن من لا يوانيه ذكاؤه للدراسات الجامعية أو العالية يقف دونها ، وبذلك يختار من المهن ما يناسب مؤهلاته دون الجامعية ، ويناسب فى الوقت نفسه ذكاءه المحدود

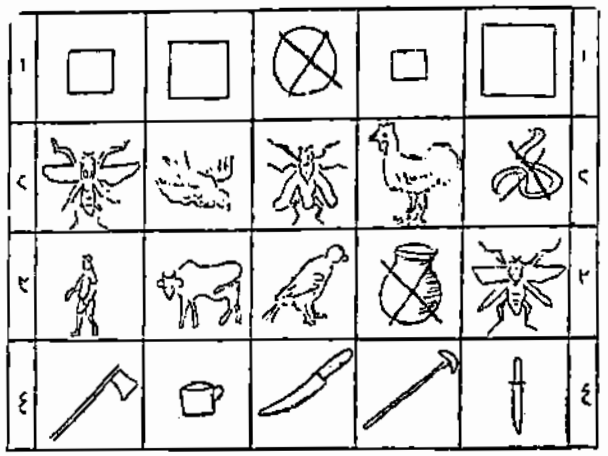

نموذج لبعض اختبارات الذكاء الجمعية غير اللفظية التى لا تحتاج إلى قراءة أو كتابة ويطلب من المختبر أن يضع علامة × على الشكل الذى لا يتفق مع بقية أشكال الصف فى نوعها أو جنسها المشترك
كما فى الصف الأول والثانى والثالث

كان من عناية رجال التعليم فى أمريكا وأوربا باختبارات الذكاء الجمعية ، أن استعملوها مع امتحانات القبول بالمدارس مختلفة الأنواع والجامعات . ففى انجلترا مثلاً يعقد امتحان لتلاميذ المدارس الأولية فى سن الحادية عشرة لاختيار من يصلح منهم للمدارس الثانوية ، ومن يصلح للمدارس الوسطى الفنية ، ولمنح المجانية للمتفوقين ذكائياً . وقد أصبحت اختبارات الذكاء الجمعية مستعملة مع امتحانات التحصيل المدرسى . وأثبتت نتائج اختبارات الذكاء الجمعية تلازماً مع نتائج الامتحانات المدرسية فى معظم الحالات . وفى الحالات التى حصل فيها اختلاف ظهر بعد البحث والتحليل

(١) أنظر كتاب « دراسة الحياة العقلية » للأستاذ وودورث صفحة ٤٥

مرة أخرى أن اختبارات الذكاء إنما قاست الذكاء الفطرى الذى لم تستطع الاختبارات المدرسية كشفه . أو أن الاختبارات المدرسية قاست مقدار التحصيل المدرسى فقط . ولذلك يوصى المربون وعلماء النفس أن تستعمل اختبارات الذكاء مع الاختبارات المدرسية ، حتى نحكم حكماً صحيحاً على ذكاء الفرد وتحصيله

وهناك نوع من اختبارات الذكاء يسمى « الاختبارات العملية » Performance tests ، وميزة هذه الاختبارات أنه يسهل استعمالها مع صغار الأطفال الذين لم يألفوا بعد استعمال الورق والقلم كالتلاميذ عند التحاقهم بالمدارس الأولية ، وفيها تقاس أيضاً القدرات الذكائية العملية التى تتطلب الانتباه والتفكير ، كما تستعمل بدلاً من مقاييس الذكاء اللفظية التى لا بد فيها أن يكون المختبر ملماً بالقراءة والكتابة واللغة ، وفى هذا النوع من الاختبارات العملية يطلب إلى المختبر أن يكوّن صورة لشىء ، أو شخص من عدة قطع من الورق المقوى أو أن يبنى مكعباً كبيراً من مكعبات صغيرة فى أقل زمن ممكن وبأقل عدد ممكن من محاولات خاطئة أو أن يملأ فراغات منتظمة فى لوحة خشبية ، كفراغ مثلث أو مربع أو نجمة أو متوازى أضلاع أو جزء من دائرة . وهذا النوع من اختبارات الذكاء هو أقدم[1] الأنواع التى حاولها علماء النفس . وتوجد منه الآن عدة مجموعات مقننة شائعة الاستعمال فى المدارس الفنية والمصانع والشركات فى أوربا وأمريكا

ولعل القارىء بعد هذا العرض لأنواع مقاييس الذكاء يتساءل : وما هو ذلك الذكاء الذى كثر الكلام عنه ، وما طبيعته ، وما الفرق بين الذكاء الطبيعى والذكاء المكتسب ؟

وموعدنا المقال القادم للاجابة عن هذا كله .

(بخت الرضا — السودان) عبد العزيز عبد المجيد

(١) أنظر صفحة ٤١ من Psychological Tests of Educable Capacities

معهد التناسليات
معهد التناسليات تأسيس الدكتور ماجنوس هيرشفلد فرع القاهرة بعيادة دقيقة فى ٤٦ شارع المدابغ تليفون ٥٢٥٧٠ يعالج جميع اضطرابات الأعضاء التناسلية والعقم عند الرجال والنساء وجميع الشاب والشيخوخة المبكرة . ويعالج بصفة خاصة : تزيادة الحساسية طبقاً لأحدث الطرق العلمية والعيادة من ١٠-١ ومن ٤-٦ . ملحوظة : يمكن إعطاء دروس خاصة للمعهد بمعهد أبحاث القاهرة بعد أن يجيز اعلى مجموعة الدراسة البكالوريا والمتوسطة على الأقل والذى يمكن الحصول عليها نظير قرش

أيام فى القرية

لن أجد إذا أردت التعبير عن مبلغ حبي لقريتى كلاماً أجمل ولا أصدق من كلام أستاذنا صاحب « الرسالة » . ولست أزيد عليه سوى أنى أعيش فى القرية أبداً إذا جئتها كواحد من فلاحيها؛ فأنا أخالط هؤلاء الفلاحين ، وأتكلم بلهجتهم ، وأؤدى ما أريد من المعانى بألفاظهم ، وأضرب فى الحديث أمثالهم ، وأنهج فى سوق الكلام نهجهم، لا أتكلف ولا أتعسف؛ إذ لا حاجة بى إلى ذلك ، وأنا قروى قبل كل شىء، ومثلى إذا عدت إلى قريتى كمثل النبات ، تنقله إلى بيئته ، فيبدو لك من خصائصه ما لا يبدو إلا فى تلك البيئة ...

هبطت القرية وبينى وبين العيد يومان ، وتركت منظارى لينظر من ورائه صاحب « الرسالة » ، فيستعيذ بالله آخر الأمر منه ، ويسألنى فى ختام حديثه البارع الممتع : أيرسله إلىّ أم يجربه على عين الأستاذ المبارك ... وما درى أن لى فى القرية غير ذلك المنظار الذى لا ينفذ فيها إلى مثل ما ينفذ إليه فى المدينة ، ونسى أن للمبارك عيناً لا تحب المنظار ، لأنها تنفذ وهى عارية إلى كل شىء ولو كان بينها وبينه أكثف ستار !

درت بمنظارى هذا فوقع من حياة « القرية » ومجالبها على ما لو طاوعت قلمى فى سرده ، لضاق عنه عشرة أمثال هذا المجال . وحسبى أن أقصر للكلام على ما كان أعمق أثراً فى نفسى بين ما شاهدت ...

شاعت الخضرة فى الحقول ، ورف فى مزارعه بين بطاح البرسيم نُوّار الفول ، واهتزت الأرض أخيراً وزخرت بالحياة ، بعد أن فعلت بها دودة البرسيم أياماً طويلة ما لا يفعل الجراد ، فالتهمت جموعها الخفية العنيدة ، البراعم الطرية الوليدة ، وتركت الناس حيارى لا يجدون لما أصابهم من علة ، إلا أنه غضب من الله ... وأبهجت نفسى مظاهر الحياة والبشر فى النبات الرفيف والشمس الصاحية ؛ بيد أنى وا أسفاه رأيت إلى جانبها مظاهر الموت والبؤس فى الغدران الناضبة والأشجار العارية على جانبيها، ثم فى تلك البهائم العجاف الهزيلة التى تلتهم البرسيم فى نهم، ولا تنال منه إلا بقدر .

وجاء العيد فكان من أجل معانيه وقعاً فى نفسى تحية أهل القرية جميعاً بعضهم بعضاً وتصافحهم إذا ما التقوا لا فرق بين غنى وفقير، ولا بين كبير وصغير ، ثم تزاور الناس منذ خروجهم من صلاة العيد إلى متوع النهار جرياً على أصول لن تعرف فى المدن إلا بين من تربطهم صلة من قرابة أو من صداقة . وكثيراً ما يقوم فيها مقام الشخص ما يدفع إلى الخادم أو فى صندوق البريد من بطاقة ...

وارتاحت نفسى لحظة لهذا المعنى؛ غير أنى ما لبثت أن كدرنى خاطر طاف بنفسى؛ وهو أن عيد هؤلاء القرويين كطبيعة حقولهم، فهذا البشر الذى يبدو على وجوههم يكاد يشف عما وراءه من هم جلبته عليهم الأزمة التى حلت بهم من هلاك الزرع وبيع القطن بثمن بخس ، ولن تغرب شمس هذا اليوم حتى يعودوا إلى ما كانوا فيه من عناء ونكد

ورأيت العيد فى دنيا الأطفال غير العيد فى دنيا الكبار ، فهؤلاء الصغار هم الذين ينعمون حقا بالعيد. وهم الذين ينجلى بهم معنى العيد ؛ ولكم بث مرآهم من النشوة فى قلبى ، وبعث من جميل الذكريات فى أطواء نفسى ، فذقت السرور الصادق برهة فى تذكرى أيامى التى خلت ، والتى كان قصارى فيها حلتى الجديدة وقروشى القليلة وتمتعى ساعة بالأرجوحة التى أسمع صليل (جلاجلها) النحاسية وصرير أخشابها العالية ، ولكن بأذن وا أسفاه غير تلك الأذن الصغيرة ! وما أعجب هذا السرور الذى يجر فى أعقابه الأسف والكآبة ...

وخرج الصبايا أسراباً عصر يوم العيد كعادتهن إلى الترعة البعيدة ، يحملن جرارهن ويتجملن بحليهن ويخطرن فى جديد ملابسهن والشباب يأخذون عليهن الطريق جماعات جماعات ، وهم مزهوون بحللهم الجديدة وطواقيهم الناصعة البياض وعصيهم الرفيعة من الخيزران ... ولكن نظرات البنات فارّة ساهمة، فليس من هؤلاء الفتية فى هذا العام الباحثُ الخاطب والزوج المرتقب، وقد قل المال ورفعت الحرب ثمن كل شىء

وتجمعت فى الأفق ظلال الغروب وراحت تطوى نور النهار وبهجة العيد معاً ، وأويت إلى دارى أعد فى نفسى ما تصرم من أيامى فى القرية وأحصى ما بقى منها ، وأعجب لسرعة انقضاء الأيام هنا على هذا النحو ، وأقول متى يقبل الصيف لأقضى فى قريتى ما أقضى كل عام من شهوره . وكان آخر سؤال طرأ على خاطرى: متى يعنى أدباؤنا بالريف وحياته فيصدق هذا الأدب وتتضح معالمه ويذهب عنه ما يعلق به من بهرج زائف وتقليد سخيف ؟

(فى)